ففي الصفحة ١٥٢ (العمود الاول) يكتب المراجع ان « علاقة الاستعمار بالصهيونية في رأيي [هي] الدراسة الاساسية الرئيسية التي كان يجب ان تكون مادة الكتاب والتي تلقي الاضواء المحللة لتلك الظاهرة الاقتصادية ـ الاجتماعية ـ السياسية والمسماة بالصهيونية فكرا وحركة ودولة » ٠

ثم يكتب في مكان اخر (صفحة ١٥٨، العمود الثاني) : « لا يمكن للصهيونية الا ان تكون نتاجا لظاهرة الاستعمار الاوروبي » ٠ واذا « ركبنا » هذه الاقوال على ما اقتبسناه من كلام سمير ايوب اعلاه حول الباحث « النموذجي » بالنسبة له ـ اي الباحث صاحب « الخيال» (وهذه، على كل حال ، اول مرة نسمع فيها عن ضرورة ان يكون من بين مواصفات الباحث « الخيال » ، رغم خطورة هذه الصفة ، اذ ان الباحث « الخيالي » قد يتحول الى باحث كاذب !) لاتضحت لنا صورة ما يصبو اليه سمير ايوب جليا ، وان لم يجرؤ على البوح به ٠ انه يريدنا ان نضع النتيجة التي ينبغي ان يصل اليها البحث سلفا ، وربما في اول فقرة في الكتاب (وذلك بواسطة اللجوء الى « الخيال ») ، وهي ان الصهيونية ليست الا نتاجا للاستعمار واحدى ادواته ٠ وكلها ما فيها وما يتعلق بها استعمار في استعمار ٠ ثم ننطلق من هذه النتيجة المحددة سلفا نحو اثباتها سلفا ايضا ٠ واذا اتضح ان هذا ليس هو الواقع بالضبط ، واشار البحث الى نواح اضافية ليس من السهل تجاهلها ، وقد تمس بالفرضية الاساسية ، فينبغي ان ندجل ونزور ونكذب ونتحايل ونلوي يد الحقيقة ، لكي نصل الى النتيجة المحددة سلفا٠٠ وقد قدم ، على كل حال ، عدد من الكتاب العرب والاجانب اكثر من كتاب « قيم » من هذا النوع عن الصهيونية ٠ ولا شك اننا لو اتبعنا هذا الاسلوب ، و « طعمنا » عملنا باقتباسات من بعض المصادر العبرية ،من خلال استعمال « الخيال » ، لقدمنا كتابا يتهافت عليه الغوغائيون على اختلاف انواعهم ، ولقرأه العديد منهم بشغف ، واغدقوا علينا كافة الاوصاف «الحميدة» ـ ولازدادوا في الوقت نفسه جهلا بالصهيونية ، لاننا في هذه الحالة لن نكون قد قدمنا الا طبعة معاكسة للكتاب اللاسامي سيء الصيت « بروتوكولات حكماء صهيون » ٠

ان مسالة المنهج الذي اتبعناه لوضع الكتاب ، على كل حال ، ليست ثانوية ، بغض النظر عن مزاعم سمير ايوب بشانه٠ ونعتقد انه لا بد لنا من توضيحه ، خصوصا وان تساؤلات حوله قدمت لنا من قبل اشخاص عدة ، بعضهم من « المتحمسين » للكتاب ٠ ويمكنني القول ان المنهج الذي اعتمدته هو ، ان صح التعبير ، « منهج مركب » يجمع بين عناصر من مناهج اخرى وان كان لا يأخذ بها كلها ٠ والسبب ؟ ـ لقد اتضح لي ان مثل هذا المنهج هو الوحيد الذي يمكن اللجوء اليه لفهم مركب الصهيونية ، المؤلفة من عناصر عديدة ،تبدو احيانا غير منسجمة، بل ومتناقضة ٠ والامر بحاجة الى توضيح وتفسير ٠

مما لا شك فيه ، مثلا ، ان هنالك علاقة عضوية وترابطا وثيقا بين الاستعمار والصهيونية ان كان ذلك نظريا ، اي بتبني الصهيونيين الفكرة الاستعمارية والادعاء بانه « يحق » لليهود ، اسوة بباقي الدول الاوروبية ، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، السيطرة على منطقة ما في اسيا وافريقيا واستغلالها لصالحهم ، او عمليا، بواسطة التعاون الوثيق بين الصهيونيين والمستعمرين للسيطرة على فلسطين وجوارها ٠ ولا حاجة للتعمق كثيرا في هذا الموضوع ، فهو واضح ومعروف